

نوائير الأضاح وأثره في إنساق الخطاب الشعري لامية العرب للشنفرى أنموذجا

أ.بخني بوعمامة

جامعة وهران 1

أ.النعاس سعيداني

جامعة سيدي بلعباس

ملخص:

شهدت الدراسات اللغوية في الآونة الأخيرة تطورات هائلة، إذ تجاوزت حدود الجملة، التي كانت أكبر وحدة لغوية للتحليل إلى فضاء أوسع، كونها عاجزة عن تقديم وصف عام، وتفسير شامل لمتتالية من الجمل المتماكة من حيث الشكل والدلالة، مما جعلهم يدعون إلى انفتاح الدرس اللساني على دراسة مستوى أعلى من الجملة يتمثل في النص، ولقد احتل الاتساق موقعا بارزا ومحوريا في كل الدراسات¹ التي تناولت لسانيات النص، لكونه شرطا من أجل الحكم على نصية نص من عدمه، وقد وقفت هذه الدراسة الموسومة بالتضام و أثره في تماسك الخطاب الشعري على استغلال المفاهيم والإجراءات التي اعتمدها الغربيون في مجال لسانيات النص لمقاربة خطاب شعري عربي قديم.

الكلمات المفتاحية: لسانيات النص، النص، الخطاب، التماسك النصي، الاتساق، التضام، الشنفرى، لامية العرب.

Résumé

Les études linguistiques ont récemment connu des développements considérables, comme dépassant les limites de la phrase, qui était la plus grande unité d'analyse linguistique à un espace plus large, ils sont incapables de fournir une description générale et l'interprétation complète des phrases successives de cohérence en termes de forme et de l'importance, ce qui les appellent à l'ouverture de la leçon linguistique sur études supérieur au niveau de gros est dans le texte, et ont la cohérence occupent une place de premier plan et central dans toutes les études sur le texte de la linguistique, étant une condition sine qua non pour juger le texte de texte ou non, et ont résisté à cette étude étiquetée Balldham et son impact sur la cohésion du discours poétique sur l'exploitation des concepts Et les procédures adoptées Occidentaux dans le domaine de l'approche de texte linguistique poésie arabe. Discours Vieux

Mots clés: Linguistique Texte, Texte, Discours, Cohérence textuelle, Cohérence, Inclusion, Shanfara, lamia elarab..

يعد التضام من العلاقات التركيبية المهمة، التي تكشف لنا في المجال التركيبي عما يلزم الكلمة وما تقتقر إليه في التركيب، أو ما يتنافى معها أو يختص بها، وهو المحور الأساسي الذي تدور في فلكه جلّ الظواهر اللغوية؛ وذلك لأنّ "تأليف الجملة من مفرداتها لا يتم بالمصادفة بل تحكمه مبادئ وقواعد تتوقف عليها لإفادة الكلام. فالكلمة في الجملة يغلب أن تتطلب كلمة أخرى تقع في حيزها"¹ فتتنظم هذه الكلمات أو المفردات من هذا المنطلق في طوائف معينة، تقع كلّ واحدة مع ما يناسبها، إما عن طريق توارد بعضها مع بعض، وإما عن طريق تتافر بعضها مع بعضها الآخر² وهذا ما تحدّثه القرائن التركيبية.

ولقد كشفت أيضا إسهامات علم النفس الإدراكي اكتشافات هامة فيما يخص القضايا اللغوية عن كيفية تخزين المعلومات في الوعي، تمثلت أساسا في أنّ المفهوم لا يخزن منعزلا في الذاكرة، وإنّما توجد بين المفاهيم علاقات وثيقة مثل (تلميذ - يتعلم)، (قرد - يتسلق)، وبناء على هذا يملك المرء مجموعة من المفاهيم في

صورة شبكة من العلاقات الدلالية، ولهذه العلاقات أهمية كبيرة سواء عند إنتاج النص أو تلقيه³، ويعد التضام أحد هذه العلاقات التركيبية الرابطة التي نالت حظا وافرا من الدراسة في أوساط القدماء والمحدثين، وذلك لأهميتها البالغة.

مفهوم التضام:

لغة: التضام مصدر من الفعل "ضمم"، وجاء في كتاب العين: "الضم ضمك الشيء الى الشيء وضاممت فلانا أي قمت معه في أمر واحد"⁴. ومنه الضمّام: كل شيء يضم به شيء الى شيء. والإضمامة الجماعة من الناس، ومن معاني الضم الاشتمال، تقول: تضام القوم إذا انضم بعضهم الى بعض، واضطمت عليه الضلوع أي: اشتملت⁵

وقد أرجع ابن فارس اجتماع "الضاد" و"الميم" إلى أصل واحد يدلّ على ملءة بين الشيئين. يقال: هذه إضمامة من خيل أي: جماعة⁶.

نلاحظ أنّ المعاني اللغوية التي حملتها المادّة المعجمية - مادّة ضم - تدلّ في مجملها على عبارات الاجتماع، والمعانقة والانطواء والاشتمال، وهي معاني لا تبعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي للفظ التضام. التضام في الدراسات اللسانية الحديثة:

اهتم علماء اللسانيات الحديثة بظاهرة التضام كغيرها من الظواهر، وتناولوها وفق رؤية جديدة تختلف عن نظرة القدماء لها، وخصّوها بالدراسة كل حسب توجهه الفكري فهناك من عالجاها ضمن القرائن النحوية، وهناك من عالجاها تحت مايسمى بعلم الدلالة ونظرية السياق وغيرها من المجالات اللغوية، أمّا علماء لغة النص فأدرجوها ضمن وسائل الترابط النصي.

فالتضام من الظواهر اللغوية المهمة في اللغات عامة، وظهر هذا المصطلح لأول مرة سنة 1951 في بحوث اللساني الإنجليزي فيرث⁷، وهو "التركيب المتلازمة التي تدل على معنى خاص ولا تدل عليه في وضعها دون مصاحبة على هذا النمط ولا تدل عليه وحداتها مفردة دون اصطحاب لازمها في التركيب الدال عليها، وهو ترابط بين الألفاظ للدلالة على معان مخصصة، ويسمى بالمعنى التواردي، وتسمى في اللفظ التضام، لأنها اجتماع لفظ بلفظ أو أكثر للدلالة على معنى من تضامها"⁸.

وهو عند فيرث مجيء كلمة في صحبة كلمة أخرى على نحو يجعلنا بحكم العادة والإلف أن نتوقع أن تجيء الكلمتان متصاحبتين، وهي شكل من أشكال العلاقة الأفقية على المستوى المعجمي، وهي تختلف عن شكل آخر من العلاقة الأفقية على المستوى النحوي⁹.

وقد اصطلح عليه أولمان (Ullmann) بالرصف أو النظم وعرفه على أنه "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة أو استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى"¹⁰.

أما هاليداي ورقية حسن فقد عدّوه أحد المعايير النصية التي تسهم في الترابط النصي على المستوى المعجمي ويعرفانه على أنه "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"¹¹ وهذا الارتباط يعتاد أبناء اللغة وقوعه في الكلام، بحيث يمكن توقع ورود كلمة محددة في النص من

خلال ذكر كلمة أخرى فيه، وتتميز تلك الظاهرة بعدم افتقارها الى مرجعية سابقة أو لاحقة، كما هو الحال مع عناصر السبك النحوي¹².

و"يمثل التضام النظام الحقيقي للترابط المعجمي في النص، وذلك أنه معيار قائم على علاقات الوحدات بعضها ببعض بالمعجم اللغوي الذي تنتزل فيه، ومنه تنطلق نظرية الحقول الدلالية التي تصنف الوحدات أو الألفاظ الى حقول دلالية مختلفة بحسب العلاقات القائمة بينها في النص"¹³.

ولتوضيح التضام ودوره في الترابط المعجمي، قدم هاليداي ورقية حسن المثال التالي: (لماذا يتلوى هذا الولد الصغير طوال الوقت البنات لا تتلوى).

فكلمة (البنات) هنا ليس لها المرجع الذي لكلمة (الولد) في الجملة الأولى؛ ومن ثم ليس بينهما علاقة تكرر معجمي، ورغم هذا تبدو هاتان الجملتان مترابطتين، فما الفاعل في هذا الترابط؟ الفاعل - حسبما ذكر هاليداي ورقية حسن - هو وجود علاقة معجمية بين لفظتي (الولد) و(البنات)، هذه العلاقة هي علاقة التضاد.¹⁴

"وحسب ماذهب إليه المؤلفان، فإنّ العلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما هي علاقة التعارض، مثلما هو الأمر في أزواج كلمات مثل: ولد، بنت، جلس، وقف، أحب، كره، الجنوب، الشمال، أمر، خضع، الخ، إضافة الى علاقة التعارض هناك علاقات أخرى مثل الكل - الجزء، أو الجزء - الجزء، أو عناصر من نفس القسم العام: كرسي، طاولة (وهما عنصران من أسم عام هو التجهيز ...)".¹⁵

ويرى محمد خطابي "أنّ المتلقي يواجه إشكالا في إرجاع هذه الأزواج الى علاقة واضحة تحكمها، فليس دائما تكون هذه العلاقة واضحة للعيان، ولكن القارئ يعمد الى ذلك متسلحا بمخزونه اللغوي وخلفياته الثقافية (الحدس اللغوي)، مما يعني أنّه لا يوجد مقياس آلي صارم يجعل المتلقي يصنف كلمات النص في مجموعة

محددة"¹⁶ ولهذا يعد هذا النوع من الربط من أكثر الأنواع صعوبة في التحليل.¹⁷

-التضام على مستوى القصيدة ودوره في تماسكها :

تتوعد العلاقات الرابطة بين الأزواج المصاحبة في لامية العرب للشنفرى، مؤدية دورها في تحقيق ترابط النص و اتساقه، وقد ورد التضام في القصيدة بأنواعه نذكر من بينها التضام بالتضاد والتضام بواسطة علاقة الجزء من الكل متعلق بالارتباط بموضوع معين .

وسنبين تلك المصاحبة و العلاقة القائمة بينها في جدول توضيحي:

رقم البيت	التضام	نوع العلاقة
1	بني أمي/ القوم	علاقة الجزء من الكل
2	الليل/مقمر	علاقة جزء من الكل
4	راغبا/راهبا	علاقة تضاد (تضاد عكسي)
5	سيد/أرقط/عرفاء	علاقة اشتغال مشترك (الحيوانات)
11	ابيض/ صفراء	الدخول في سلسلة مرتبة (الألوان)
17	يعلو/يسفل	علاقة تضاد (تضاد عكسي)
18	يروح/يغدو	علاقة تضاد (تضاد عكسي)

19	شره/خيره	علاقة تضاد(تضاد عكسي)
20	الهورجل/ يهماء	علاقة ترادف
21	الأمعز/(الصوان/قادح/مفلل)	علاقة جزء من الكل
22	ترب/الأرض	علاقة جزء من الكل
23	مشرب/مأكل	علاقة اشتغال مشترك (الطعام)
26	الخمص/الحوايا	علاقة جزء من الكل
26	تغار/تقتل	علاقة ترادف
29	دعا/أجاب	علاقة تضاد (تضاد عكسي)
35	الصبر/الشكوى	علاقة تضاد (تضاد حاد)
38	أسدلت/شمر	علاقة تضاد(تضاد عكسي)
39	ذقون/حوصل	علاقة جزء من الكل
40	أضاميم/سفر/قبائل	علاقة اشتغال مشترك (الأماكن)
43	الأرض/افتراش	علاقة جزء من الكل
45	تبتئس/اغتبطت	علاقة تضاد(تضاد عكسي)
47	تنام/يقظي	علاقة تضاد(تضاد عكسي)
49	تحيت/عل	علاقة تضاد(تضاد اتجاهي)
50	أحفى/أنتعل	علاقة تضاد (تضاد عكسي)
52	أعدم/أغنى	علاقة تضاد(تضاد عكسي)
59	كلاب/ذئب/فرعل	علاقة اشتغال مشترك (الحيوانات)
60	الجن/الإنس	علاقة تضاد(تضاد حاد)
62	الشعري/رمضاء	علاقة ترادف
65	الذهن/القلي/الغسل	علاقة اشتغال مشترك (النظافة)
66	أولاه/أخراه	علاقة تضاد(تضاد عكسي)

الجدول من خلال الجدول نلاحظ :

- أشكال التضام في لامية العرب متنوعة، كعلاقة التضاد وتمثل هذه العلاقة ظاهرة بارزة في لامية العرب، إذ فاقت هذه العلاقة بقية العلاقات في إيراد المفردات المصاحبة، بقوة كون التضاد من أهم وأبرز العلاقات في الإفصاح وتوضيح المعاني فبضدها تتبين المعاني.

ومن أمثلة ذلك قول الشنفرى: ¹⁸

فإن تبتئس بالشنفرى أم قسطل
لما اغتبطت بالشنفرى قبل أطول
تنام إذا نام يقظي عيونها
حنائاً إلى مكروهه تتغلغل
إذا وردت أصدرتها ثم إنها
تتوب فتأتي من تحيت ومن عل

نلاحظ كيف استدعت العلاقة بين المفردات :

(تبتئس/اغتبطت)،(تنام/يقضى)،(ثحيت/علّ) وجود النقيض الآخر في النص، وقد كان لذلك أثر في شدّ النسيج النصي وارتباط العلاقات وتحقيق انساق النص.

- أما بخصوص العلاقة الثانية الأكثر ورودا بعد علاقة التضاد فهي علاقة الجزء من الكل وقد عملت هذه العلاقة على تصاحب المفردات في نص القصيدة وكان لها أثرها في تماسك النصي، ومن الأمثلة على ذلك:

فَقَدْ حُمِتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمَرٌ وَشُدَّتْ لَطِيَّاتِ مَطَايَا وَأَرْحُلُ¹⁹
وَأَسْنَفْتُ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْلًا يُرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُنْطَوِّلٌ

لقد جاء في هاذين البيت مفردات ترتبط في بينها بعلاقة الجزء من الكل، فالثنائية (الليل/مقمر) هي علاقة جزء من الكون، كون القمر جزء من الليل، وقد دلّ هذا التركيب على الرحيل فربطه الشنفرى بالليلة المقمرة، أما الثنائية الأخرى (الأرض/الترب) تتدرج كذلك في هذا النوع من العلاقات فالتراب جزء من الأرض الواسعة، وقد دل على التعفف من التسول لأحد لكي لا يمتن عليه أحد.

- أما العلاقة الأخرى المتبقية والتي كان لها حضورها وأسهمت في تماسك النص هي علاقة المشترك العام أو ما يسمى بعلاقة الاندراج في صنف عام ومن شواهداها في لامية العرب:

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ : سَيِّدٌ عَمَلَسُ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جِيَالُ²⁰
كَأَنَّ وَغَاها حَجَرَتِيهِ وَحَوْلُهُ أَضَامِيمٌ مِنْ سَفَرِ الْقَبَائِلِ نُزْلُ
بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ وَالْقَلْبِ عَهْدُهُ لَهُ عَبَسَ عَافٍ مِنَ الْغَسْلِ مُحُولُ
فالكلمات (سيد/أرقط/عرفاء) علاقة اشتغال مشترك تتدرج ضمن (الحيوانات)،
(أضاميم/سفر/قبائل) تتدرج ضمن (الأماكن).

- كما تقوم المصاحبة المعجمية على أساس اتحاد مجموعة من المفردات ضمن حقول دلالية تحكم تعالقها، فيستدعي أحدها الآخر، وقد توزعت في كامل القصيدة:

-ألفاظ دالة على أعضاء جسم الإنسان: (الوجه،العيون،الذقن،الحوايا،الصدر،الفؤاد)
-ألفاظ الدالة على القرابة: (الأم،الابن،العرس،الأهل)
-الألفاظ الدالة على الحياة الاجتماعية: (ألف،مولى،صاحب،صحبة)
-الألفاظ الدالة على الجماعات الناس: (الركب،السفر،أضاميم،قوم،النوح)
-الألفاظ الدالة على الملابس: (البز،الأتحمي،المذيل،المرعبل،الملاء)
-الألفاظ الدالة على الطعام: (المأكل،المشرب،الطاوي،الجوع،الخمص،الزاد،القوت)
-الألفاظ الدالة على السلاح: (الأبيض،الترس،المحمل،الوغى،السهم،الصفراء،الأصليت)
-الألفاظ الدالة على الأرض: (الأرض،البراح،التراب،التتائف،الخرق،الهوجل،اليهماء)
-الألفاظ الدالة على الحيوانات: (مجدعة،الخشرم،الذئب،فرعل،كلاب،القطا،القطاة
المكاء،هيق،أمهرته)

• هذه أهم النماذج التي تجسد فيها التضام بأنواعه ، ولا شك أن ورود ووجود مثل هذه العناصر التضامية يسهم في النصية "وذلك للإضافات التي تضيفها للنص على مستوى المعاني سواء في طابعها الترادفي أو التقابلي أو غير ذلك ما يخدم المعنى العام للنص ، هذا بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه عناصر التضام على المستوى الشكلي والبنائي للنص"²¹

وخلاصة القول أن هذا المظهر الاتساقى ساهم في بناء النصوص وتماسك الكلمات فيما بينها وحتى الأبيات المصاحبة لبعضها البعض بحكم العلاقات المعجمية التي تجمعها .

^أ الهوامش:

- ¹ تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، ط1، 1420هـ، 2000م، ص:80.
- ² تمام حسان، البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، ط1، 1413هـ، 1993، ص:155.
- ³ عزة شبل، علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، ط2، 2007، ص: 153.
- ⁴ خليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دط)، (دت)، ج4/ص16-17.
- ⁵ ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م، مج6/ص: 1972-1973.
- ⁶ أبو الحسن ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام، محمد هارون، دار الجيل بيروت، (دط)، (دت)، مج3، ص357.
- ⁷ ردة الطلحي، دلالة السياق، جامعة القرى، ط1، 1424هـ، ص: 197.
- ⁸ محمود عكاشة، دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، مكتبة الرشد، ط1، 1435هـ، 2014م، ص352.
- ⁹ حمادة محمد عبد الفتاح حسيني، المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية)، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1428هـ، 2007م، ص: 74.
- ¹⁰ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط1، 1998، ص:74.
- ¹¹ محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م. ص: 25.
- ¹² يسري نوفل، المعايير النصية في السور القرآنية (دراسة تطبيقية مقارنة)، ص113.
- ¹³ سالم بن محمد المنظري، الترابط النصي في الخطاب السياسي (دراسة في المعاهدات النبوية)، ص 128.
- ¹⁴ جميل عبد المجيد، بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص: 107.
- ¹⁵ محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص: 25.
- ¹⁶ خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص209.
- ¹⁷ ينظر: عزة شبل، علم لغة النص، ص109.
- ¹⁸ الشنفرى، الديوان، ص: 67، 68/حاثا: سراجا/تنوب: تعود.
- ¹⁹ الشنفرى، الديوان، ص: 58-62.
- ²⁰ الشنفرى، الديوان، ص: 59-66.
- ²¹ صالح حوجو: إسهام التضام في تماسك النص الشعري القديم معلقة طرفة بن العبد أنموذجا. مجلة الأثر. العدد 23. جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2015. ص: 229 .